مجلة دراسات نفسية ISSN 2353-0324
المجلد: 13 العدد :01 السنة: 2022 ص ص 395 – 412

قيم المواطنة بين أزمة الهوية واللامعيارية (نظرة تشخيصية نفسية – اجتماعية)

Citizenship values between identity crisis and non-normativeness (a psycho-social diagnostic view)

يمينة غسيري*، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، psychologiescholaire@gmail.com
مربوحة قارة، جامعة الحاج لخضر باتنة1 (الجزائر)، marbouha.kara@univ-batna.dz

تاريخ الارسال: 2022/10/09	تاريخ القبول: 2022/11/02	تاريخ النشر: 2022/12/12	المؤلف المرسل: مربوحة قارة

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى توضيح معالم المجتمع وهويته بين التقليدية والحداثة، ثم توضيح انعكاسات ازمة الهوية على قيم المواطنة ومدى معيارية سلوكات الأفراد والجماعات عموما والشباب خصوصا وتفاعلاتهم وعلاقاتهم في ظل هذه المنظومة الاجتماعية والثقافية ومنه محاولة تحديد محك تشخيصي ينطلق منه لمعالجة قضايا الشباب. اي معرفة مدى معيارية ولا معيارية السلوك الاجتماعي في ظل المعطيات الاجتماعية الراهنة، وما هي العوامل التي يمكن افتراضها من هذا المنطلق كدوافع أو أسباب لحدوث حالة اللامعيارية لدى الشباب الجزائري؟

الكلمات المفتاحية: قيم؛ قيم مواطنة؛ هوية اجتماعية؛ معيارية؛ لا معيارية

Abstract:

This article seeks to clarify the features of society and its identity between traditional and modernity
, then to clarify the repercussions of the identity crisis on the values of citizenship and the extent of the normative behavior of individuals and groups in general, and youth in particular, and their interactions and relations in light of this social and cultural system, and from it an attempt to identify a diagnostic test from which to address youth issues. That is, knowing the extent of normative or normative social behavior in light of the current social data, and what are the factors that can be assumed from this point of view as motives or reasons for the occurrence of a state of non-normity among Algerian youth?

Keywords: Values; citizenship values; social identity; normative; non-normative.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يعتبر الاهتمام بفئة الشباب ومشكلاتهم المعاصرة في العالم العربي عموما والمجتمع الجزائري بوجه خاص واحدة من المؤشرات الدالة على مدى تقدم أو تخلف أي مجتمع .ذلك لان الشباب يشكلون النسبة الأكبر في الهرم السكاني للبلاد، ولما تتميز به هذه المرحلة العمرية من طاقة وقدرة على العمل والإنتاج والإنماء.

ولذلك فالحديث عن قضايا الشباب فيما يتعلق بتنمية قيم المواطنة التي تعتبر روح الروابط الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع لا يتم معالجتها بمعزل عن طبيعة المعايير الاجتماعية التي تحدّد سواء السلوكات والتفاعلات الاجتماعية من عدمه وتحدّد طبيعة المنظومة الاجتماعية والثقافية التي تحفظ للمجتمع هويته وضوابطه وقوانينه وأعرافه والتي لا يستند عليها في سلوكه وحسب وإنما تعدّ عنصرا هاما في بناء وتشكيل هوية أفراده كذلك.

ولهذا فإن التطرق لموضوع قيم المواطنة في ظل متغيرات الهوية والشخصية والسلوك والثقافة والحداثة كرابط جوهري يربط بين الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه وكأحد المعايير الدالة على رقي الانسان وهي الدولة التي يعيش في إطار نظامها وتُعتبر في نفس الوقت معيارا لمدى تقدمه يقتضي في إحدى جوانبه الهامة التطرق إلى معرفة المصادر والمكامن والآليات والظروف النفسية والاجتماعية التي يعيشها الشباب في واقعهم المحفوف بالتغيرات التي وضعت الشاب في كثير من مناحي الحياة ومواقفها أمام اختيارات مختلفة بل وحتى متناقضة يصعب عليه اختيار الوضع السوي أو الأنسب لها ويضعه تحت وطأة الضغوط والتوترات والقلق التي تعتبر في كثير من الأحيان دوافع مباشرة وراء تبني الشباب لسلوكات غير سوية وغير عقلانية في مواقفهم التفاعلية.

فالشباب الجزائري يعيش عالمين متناقضين، حاملاً في شخصيته ثقافتين، ثقافتين متناقضتين ثقافة تراثية مشبعة بقيم بالمواطنة الأصلية التي تشربها من خلال التنشئة الاجتماعية والمناهج الدراسية، وأخرى عولمية تحارب الأولى وتدفعه نحو عصرنه فردية كوكبية لإنجاز الأهداف وان تعاكست مع القيم والعادات السائدة وبين هاتين الثقافتين يقف الشاب الجزائري حائرا بين ما هو كائن ومعاش ويفرض نفسه وبين ما يجب ان يكون مما يدخله في ما يسمى بأزمة هوية فيصبح ضبابي الشخصية، عاجز على السيطرة على الأحداث والمجريات وليس له القدرة على فهمها وتحليلها، وحتى التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها، مع عجزه عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وغير قادر حتى على التكيف مع الواقع أو التصالح مع الأنا أو التعايش الحر مع الآخر من أجل إعادة إنتاج الذات.

ونظرا لما طرأ ويطرأ على مناحي حياة اليومية للشباب من تغيرات ومستجدات بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية... والتي تزداد وتيرتها تسارعا في العصر الحالي، وما ترتب عن ذلك من مشكلات نفسية واجتماعية تزامنا مع التقدم الحضاري والتنوع والتطور التكنولوجي وسهولة التفاعل والتواصل الثقافي والمعلوماتي الذي حدث بفعل عولمة أنظمة المجتمع الإنساني المستدخلة طوعا وفرضا والذي جعل من العالم بأسره قرية واحدة، أصبح لزاما ونحن نقوم بعملية البحث عن حلول واستراتيجيات للتكفل بمشكلات الشباب في كل مجالاتها وبكل أنواعها لتطويق والتقليل من مخاطرها، أن نحدد معالم وخلفيات وتصورات واضحة المعالم بطبيعة المنظومة الاجتماعية والأنساق الثقافية والمعايير الاجتماعية السائدة والتي تنظم وتضبط وتحكم سلوك الأفراد والجماعات وطبيعة التفاعلات والعلاقات السوية من اللاسوية داخل المجتمع، من أجل

إيجاد محك أكثر وضوحا يسهل من خلاله وبالاعتماد عليه تشخيص طبيعة المشكلات التي تواجه الآن الشباب في الجزائر.

1. السلوك الاجتماعي:

السلوك خاصية أولية وأساسية من خصائص الكائن الحي، وهو من أكثر الموضوعات أهمية وإثارة لاهتمام الناس في مجالات حياتهم اليومية المختلفة، ويشكل نقطة تقاطع العديد من المعارف. كما يعتبر (السلوك الإنساني) محصلة ديناميكية مستمرة للعوامل الذاتية والموقفية.

وإن وجدت هاتان المجموعتان من العوامل في كل الأقطار والأزمنة فإن مضمونيهما وتأثيرهما الاجتماعي يختلفان بدرجات متفاوتة من مجتمع لآخر وحتى في نفس المجتمع، من فترة تاريخية لأخرى. بالفعل، تختلف بدرجات متفاوتة وحسب الأوضاع الاجتماعية، الاستعدادات النفسية الوجدانية للأشخاص والشروط الاجتماعية التي يجب إن يراعوها أثناء سلوكهم ومعاملاتهم الاجتماعية. سليمان مظهر، علم النفس الاجتماعي (**نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية–مصدر المجابهة، منشورات ثالثة، الأبيار –الجزائر– 2010**) .

لذلك فالتطرق إلى هوية هذه الشروط والظروف المستوحاة من المنظومة الثقافية والاجتماعية للمجتمع (أفراد وجماعات) يقودنا إلى الحديث عن هوية الشخصية الجزائرية وكيفية سلوكها وتعاملها وتعاطيها وتفاعلها... في مختلف المواقف الاجتماعية والعكس صحيح، إذ أن كلا من هذه الجوانب يؤثر في الآخر ويتأثر به. ونصف فيما يلي بإيجاز مفهوم الهوية ببعديها السيكولوجي (الفردي–الشخصي والاجتماعي، الثقافي–المعياري).

2. ازمة الهوية وحالات اللامعيارية:

1.2 البعد السيكولوجي للهوية:

تبدأ الهوية بالنمو والتطور خلال التاريخ الشخصي للفرد بما يتوافر له من" تدريبات أساسية لضبط السلوك، وإشباع الحاجات وفقا لتحديدات اللغة والعادات والمعايير والأدوار في إطار المنظومة الثقافية للمجتمع. وهذه الالتزامات تفرضها المؤسسات الاجتماعية على الفرد، وعليه إيجاد حلول لها بطريقة إيجابية" (**حمود فريال، 2011، ص 564**).

ويعرف اريكسون الهوية بأنها المجموع الكلي لخبرات الفرد، وتتكون من عنصرين هما: هوية الأنا وهوية الذات، وترجع هوية الأنا إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم الإيديولوجية والسياسة والدين وفلسفة الفرد لحياته، أما هوية الذات فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية، ويذكر كذلك أن للهوية بعدان هما: البعد الإيديولوجي والبعد الاجتماعي. (**معمرية بشير، 2007، ص 152**).

يُستنتج من التعريفين السابقين بأن الهوية كواقع سيكولوجي يصعب فصله عمّا هو اجتماعي، بل إن هذا الفصل في واقع سلوك وشخصية الفرد ومعاشه النفسي هو مؤشر هام على انعدام التناسق ودلالة على وجود خلل في التوازن النفسي والتكيف الاجتماعي. وتأكيدا على هذا حدد مارشيا وانتهى إلى وجود أربع رتب للهوية هي:

أ– تحقيق الهوية: وفيها يقضي الفرد وقتا فعالا لتحديد هدفه من الحياة واعتبار الذات والقيم التي يؤمن بها، ولديه تعهد شخصي بالكفاح في سبيل الوصول إلى الأهداف التي يؤمن بها.

ب– تشتت الهوية: حيث يعاني الفرد من أزمة الهوية وليس لديه تعهد لخطة ما لخطط الحياة أو إرساء مبادئ عامة.

ج– انغلاق الهوية: وتعني الشخص الذي لا يتعهد بشيء محدد يلتزم به، وليس لديه إحساس بأزمة الهوية.

د– تعليق الهوية: وتمثل ميل الفرد إلى البحث عن هويته الشخصية ومحاولة التوصل إلى ذلك مع عدم القدرة على الوصول إلى حل لأزمته الشخصية. (**معمرية بشير، 2007، ص 153**).

اذن فالهوية كواقع سيكولوجي معاش او كمفهوم نظري أكاديمي من القصور والإجحاف ان يُعالج تبعا لتصورات ليبيدية بحتة كما لا يمكن في ذات الوقت انكار البعد ألتفردي له، ولكن كمسلّمة علمية يجب الاعتراف بعدم بلوغ الجدوى في معالجة الظواهر والمواضيع المشتركة بين بني البشر كمسائل وقضايا المواطنة والدولة وروح المواطنة والتنمية وغيرها... إلا من خلال التوصل إلى نقاط الاشتراك بينهم (الأفراد)، وسيتوضح هذا بشكل أكثر تفصيلية فيما يلي:

لقد أشار (**بن عبد الله محمد، 2010، ص 30**) في كتابه سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، الى أن نموذج الشخصية القاعدية العربية تتميز بما لا يقل عن عشر (10) خصائص هي نفسها منسوبة الى الشخصية العربية، ولعل أهم هذه السمات التي يبرزها هذا النموذج هي سمة الإحساس بالحياء، التي تتصل بفشل الفرد في الامتثال الى معايير الجماعة والى الخوف من فقدان السلطة والانكشاف، ويشارك في هذا الطرح كل من (**مغرابي، 1978 والعزم، 1968**) مثلا يعتبران ان: "الفحلوي" هو المكون الأساسي للشخصية القاعدية العربية ويذكران ان الفحلوي هو شخص سريع التكيف يستوعب كل جديد بحذر نسبي وهو مستعد دائما لإبداء وفاق سطحي وتودد سريع. فالفحلوي إنسان ذكي جدا يستخدم عادة هذا الذكاء لإخفاء كل واقع سيء وهو بارع في عملية النقل والإبعاد، وهو الأسلوب الذي يلجأ إليه الفرد لتحميل غيره المسؤولية وإبعادها عن دائرته الشخصية. وهي طريقة كثيرا ما يعمد إليها لتبرير اي وضعية مربكة قد يجد المرء نفسه فيها.

ونفس الاتجاه يتبناه كل من بركات وحمادي حينما يذهبان إلى القول بأن: "المجتمع العربي هو مجتمع حيي" فسمة الحياء البارزة في الشخصية القاعدية العربية تبدو مرتبطة في نظرهما بطرق التخجيل التي تستخدم أثناء تربية الطفل. الملمح الثاني الذي يبرز هو الذي يعتمد على حقيقة أساسية وهي أن المجتمعات تتغير باستمرار كما أن الأساليب الخاصة بالطفل وخصائص الشخصية غالبا ما تتغير هي كذلك، وإذا ما بقيت ثابتة او متكيفة في زمان التقلبات الاجتماعية السريعة فهي إما للحفاظ على الهوية او لتفادي كما يقول مغرابي، 1978: نقلا عن لفتون، 1970 "التفكك التاريخي". (**بن عبد الله محمد، 2010، ص 30–31**).

وباعتبار ما سبق من توضيحات لطبيعة الشخصية المغاربية والميكانزمات النفسية الاجتماعية التي تميز حياتها وممارساتها الاجتماعية من جهة وكذلك ما تم بيانه من تحولات بارزة في مختلف المجالات، ولأن أزمة الهوية يرتبط لدى الفرد بعدم قدرته على إيجاد تصور واضح له بخصوص مدركاته حول ذاته وما يتوقع منه، او من خلال عجزه عن وضع او ضبط تصور واضح بخصوص المعايير والمرجعيات التي يستند عليها سلوكه وهي الحالة التي تميز الجماعات او المجتمعات التي تتعرض للتحولات والتغيرات بصفة مستمرة أو متتالية ...، مما يؤدي إلى تضارب وتناقض وصراع أو حدوث حالة من الغموض بشأن المرجعيات والمعايير فإن هذا يضع الفرد تحت وطأة القلق والتوتر ويجعله أكثر عرضة للتصرف بحالة من اللامعيارية في سلوكه.

ففي دراسة ميدانية تتعلق بمستويات الهوية وأبعاد السلوك العدواني لدى عينة من الشباب الجزائري، وجد (**معمرية، 2007**) أنه: عندما يرتفع انفعال الغضب والعداوة لدى الشباب الجامعي من الجنسين، ينخفض الشعور بتحقيق الهوية، وترتبط مشاعر الغضب والعداوة بشعور الفرد بالإحباط والحرمان من إشباع حاجاته. وتتأثر الهوية في تحقيقها بإدراك الفرد لمكانته في المجتمع، فالشاب الذي يدرك ان مكانته في المجتمع توجد في الدرجة الثانية من الصعب عليه ان يكتسب شعورا قويا بهويته. والشباب قابل للتعرض للأذى نتيجة لضغوط التغيرات السريعة الاجتماعية والاقتصادية التي تضر بهويتهم، ولعل اضطرابات الشباب في الجامعات دليل على إحساسهم بفقدان هويتهم ومحاولة استرجاعها.

وفي هذا السياق يشير (**الوافي عبد الرحمان، 2011، ص 96–97**) الى ان: الأفراد بالتحاقهم بالمدارس وبالإكماليات والثانويات والجامعات، يكونون عرضة لتأثيرات البيئة على نطاق أوسع ومن نوع آخر، فقد تتعدل دوافعهم الفطرية وتنمو ضمائرهم واتجاهاتهم نحو سلوك معين أثناء تفاعلهم الاجتماعي مع الجو المدرسي والاكمالي والثانوي والجامعي، وحين يتغير اتجاه الفرد في الحياة أو حين تضطره الظروف الى ذلك فقد يستجيب في أغلب الأحيان بالتمرد أو بالعدوان والانحراف بخاصة إن لم يحقق ارضاء وإشباع دوافعه الأولية وحاجاته الثانوية، وهو الأمر الذي يجعله أسرع مطاوعة لدوافع العدوان وأقل عاطفة وتعاطف مع أخيه الانسان الذي هو أيضا يبدي ما يبدي من أشكال السلوك المضطرب، ويتصرف دون التقيد بالقدر اللازم والكافي من العقلانية.

لاسيما إذا واجه في تفاعلاته (العوامل الذاتية–العوامل الموقفية) حالة من التصادم (المعرفي–الواقعي)، بين ما اكتسبه مثلا خلال تكوينه المعرفي والعلمي والأكاديمي... وبين ما يفرضه الواقع المعيش مما يفاقم حدة الصراع الذي يعيشه الشاب ويضعه أمام حالة من الشعور بفقدان المعايير لسلطتها ووزنها وقوتها في الضبط الاجتماعي والتنظيم والردع السلوكي داخل المجتمع ولدى أفراده وهذا ما يطلق عليه بحالة الأنوميا الاجتماعية او اللامعيارية. وستتوضح هذه الفكرة بصورة أكثر تفصيلية من خلال البعد السوسيولوجي للهوية.

2.2 **البعد السوسيولوجي للهوية:** معيارية الثقافة ورمزيتها:

يتميز الترابط الإنساني عن غيره من أنواع الترابط الأخرى بالخاصية المعيارية، وهي من الخاصيات الجوهرية التي تميز الإنسان عن كافة أنواع العجماوات، فمثلا: نجد بعض الأنواع الحيوانية تعيش نوعا راقيا من أنواع الترابط الاجتماعي مثل النمل والنحل والغنم والذئاب والخيول وما إلى ذلك، ولكن لا يخرج هذا الترابط عن كونه منتوجا لعوامل بيولوجية محضة، اي أن العامل الوراثي هو العامل الحاسم في تحديد هذه الحياة الحيوانية، ... أما الإنسان فإنه يختلف عن ذلك في أنه ليس كائنا اجتماعيا فحسب، وإنما يعيش حياة اجتماعية ترابطية يستحيل وجودها لدى أي نوع من أنواع الحيوانات الأخرى على الإطلاق وسبب ذلك هو هذه الخاصية المعيارية المتمثلة في الثقافة... على أن هذه العوامل المميزة للإنسان هي عوامل مكتسبة وليست عوامل فطرية مثلما هو الشأن عند العجماوات، بمعنى أن الفرد لا يولد مزودا بالمعايير والأنماط الثقافية السائدة في مجتمعه وإنما هو يكتسبها من الآخرين، وتنقل من جيل إلى آخر بواسطة العلاقات الاجتماعية، كما أنها تتميز بالطابع التراكمي لأن كل جيل يضيف من عنده شيئا –يقل أو يكثر– إلى التراث الثقافي الموجود. (**بن نعمان أحمد، 1988، ص 124–125**).

من هذا المنطلق فالمعايير الاجتماعية هي كل ما من شأنه ضبط وتنظيم السلوك والعلاقات والتفاعلات داخل الجماعة أو المجتمع من عناصر ومكونات ثقافية اجتماعية، والتي هي باعتبار ما سبق يمكن أن تتغير من بيئة إلى أخرى ومن فترة تاريخية إلى أخرى مما قد يحدث أشكال مختلفة من المشكلات والصراعات وعلى مستويات عدة (بين: أفراد–جماعات–قيم).

3.2 الانسلاخ الثقافي وصراع القيم:

غني عن الذكر أن الجزائر كدولة تتمتع بالاستقلال والسيادة منذ أكثر من نصف قرن 60 سنة)، وبعد فترة من الاستعمار الفرنسي دامت أكثر من قرن وربع القرن (1830م–1962م) قد مرت خلال هذه المراحل التاريخية بأحداث وتغيرات وتحولات مسّت جميع الجوانب (الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والثقافية...) مضافة إلى موروث تاريخي مميز بخصوصية المنطقة وشعوبها، قد أدّى كلّ هذا إلى حدوث تغيرات تتفاوت درجة عمقها ورسوخها... تبعا لعوامل قد لا يكون من السهل حصرها وضبط تصنيف دقيق لها في هذا المقال، اذ إننا نركز في هذه النقطة على أثر ما حدث ويحدث مما ذكرناه من مراحل وتبعاتها من تغيرات وتحولات على مستوى الهوية الاجتماعية والثقافية ونسق القيم وبنيات المؤسسات الاجتماعية المختلفة ووظائفها.

اذ إنه وعلى سبيل المثال: لأسباب تاريخية واجتماعية–اقتصادية تنغمس الجزائر المعاصرة في مناخ من الفاصل الثقافي. أننا نصف هذا الوضع بأنه بينثقافي، ونفسره بعاملين كما ورد عن (**نور الدين طوالبي، 1988**) في مؤلفه (الدين والطقوس والتغيرات):

- النتائج الاجتماعية الثقافية للمرحلة الاستعمارية لاسيما منها إشراب السكان القهري تقريبا بالقيم والنماذج الغربية وبدايات عملية الانسلاخ الثقافي.
- المحصلات الكلية للتغير الاجتماعي في الجزائر وخصوصا محصلات التصنيع السريع الذي أصبح أثر الحصول على الاستقلال الوطني، خيارا ذا أولوية في عملية التطور. هذا التصنيع الذي كان مؤهلا لتعزيز انطلاقة البلد الاقتصادية أدى إلى ضرورة انفتاح واسع النطاق على الثقافة وكيفية العيش الغربيتين.

لكن يرى (**طوالبي، 1988**) أن هذا الانفتاح أدى إلى إيجاد آثار ثانوية غير مرغوب بها من بينها إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية، مما دفع الجزائر إن لم يكن إلى وضع ذي أزمة ثقافية، فعلى الأقل إلى جو عام من "التشوش الثقافي". الأمر الذي يدعو وبإلحاح إلى توضيح معالم المنظومة الاجتماعية والثقافية الجزائرية، هل هي حديثة أم تقليدية أم هي في مرحلة انتقالية؟ أم أنها تقليدية ولكن بمظهر يتماشى وطبيعة الحداثة التي فرضتها وتيرة التحولات العالمية؟ خاصة والعالم يعيش اليوم أشكالا مختلفة من الغزو الفكري والثقافي والحضاري وبأنواع تتسع قائمتها من الوسائل والأساليب والطرائق التي نوضح تأثيرها البارز من خلال التغيرات التي أحدثتها التحولات الاجتماعية المختلفة.

وقبل ذلك نناقش مكمن اللامعيارية في سلوك الفرد الجزائري في منظور إحدى أهم النظريات الحديثة المفسرة له وهي نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية التي تكشف في جوانب لها عن مصادر مجابهة الفرد الجزائري للتجديد أو الحداثة وما يتضمنه هذا السياق النفسي الاجتماعي من مظاهر سلوكية وتفاعلات ومواقف صراعية عديدة.

مكمن اللّامعياريّة في الممارسات الاجتماعية:

كمنطلق فرضي يوجد مصدرين محرضين لحالة الأنوميا او اللامعيارية السلوكية داخل المجتمع الجزائري، أحدهما ينبثق من انتماء لثقافة تقليدية تتسم بوسط عدواني حر التصرّف تسيّر المنظومة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها وتُسخّر هذه الأخيرة (المنظومة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها) وتُكرّس لخدمتها وهي تمنع بذلك كل ما يعارضها من أسس وشروط لإحداث التجديد، كما بينت هذا نظرية المواجهة النفسية والاجتماعية (**مظهر، 2010**) من خلال أكثر من (30) مؤشر حيث يقول:"... يتكون السلوك من نوعين مختلفين: السلوك الشفوي والسلوك الجسدي، أو الفعل تحت صيغته المادية البارزة. أن يتكامل، عامة، هذان النوعان من السلوك في المجتمعات المتقدمة، فإنهما غريبان عن بعضهما البعض أحيانا ومتناقضان في حالات شتى ضمن المجتمعات المتخلفة. لقد ر أينا أن ما يقوله ممثلو هذه المجتمعات وما يقومون به يكونان حسب الظروف، سياقين متوازيين أو متناقضين. فيستنتج المتتبع للحياة الاجتماعية في المجتمعات المتخلفة وجود ما يمكن اعتباره قاعدة اجتماعية معمول بها بصفة متتالية غير متقطعة، يمكن التعبير عليها من جديد بالطريقة التالية: لا ينبئ الانتماء الاجتماعي بالممارسة الاجتماعية ولا تجسد الممارسة الاجتماعية الانتماء الاجتماعي لماذا؟ إن سر هذا التباين متعلق باختلاف ركائز السلوك الشفوي والسلوك الفعلي. (**مظهر سليمان، 2010، ص 40**).

يرتبط السلوك الشفوي بالمعالم الاجتماعية المعترف بها، المعالم التي يوجد بد من التظاهر بالامتثال لها. لا يسأل شخص مثلا إلا وأثبت –حسب الميدان الاجتماعي الذي يكون متواجدا فيه– أنه مع الوحدة العائلية أو الوطنية والتآخي والتعاضد والتعاون والشرف والكرامة والكرم والعمل والقانون والمصلحة العامة وما إلى ذلك من القيم والمبادئ التي يبدو كل متشبثا بها بمجرد ما يتناول الكلمة بصفة رسمية. أما السلوك الفعلي، أي الممارسة الاجتماعية بمعناها العملي إن صح التعبير، فإنه مرتبط بالظروف وهي عرضة للتقلبات. لهذا، يكون السلوك الفعلي مضطرب غير مستقر، يعاكس بدرجات متفاوتة ما يقره السلوك الشفوي. فعلى سبيل المثال لا تحترم المواعيد والقوانين والمصلحة العامة إلا لما يستحيل إهمالها في المجتمعات المتخلفة. (**مظهر سليمان، 2010، ص 40**).

وأخيرا تبين المتابعة العلمية للسلوك شفويا كان أو فعليا أنه يتمحور حسب انشغالات الأشخاص والشبكات العلاقاتية والجماعات، حول التكيف مع الأوضاع الراهنة وانتهاز الفرص، أو الانتهازية، والحيلة والكتمان والكذب والتفاخر والتضخم والصبر والخيانة والاحتكار والتحصيل الآني والتسلط والخضوع ونكر الجميل... كما يبين الاعتناء بهذه العناصر التي تتمحور حولها الممارسة الاجتماعية أنها تمثل آليات نفسية اجتماعية ثقافية ناجمة من ثقافة قديمة عريقة هي الثقافة التقليدية."(**مظهر سليمان، 2010، ص 40**).

إذن فالنظرة المدققة والموضوعية للسلوك تستدعي تفصيلا أولا في أقسام السلوك ثم في الجوانب المتحكمة أو المؤثرة في كل نوع، وان دل وجود التناقض والصراع بين أقسام السلوك المختلفة سواء الداخلية مع الخارجية أو الشفوية مع الفعلية إن دل على شيء فإنما يدل في أبسط صوره على حالة من التشتت الوجداني السلوكي وعدم الانسجام النفسي الاجتماعي. وتزداد هذه الحالة تأزما وتتعدد المظاهر السلوكية غير السوية كلما ازدادت هوة التناقض في تفاعل العوامل الذاتية والموقفية، وهو أجلُّ ما يمكن ان يعبر على حالة اللامعيارية السلوكية ويحرض عليها علنا وخفية.

كما ينبغي الإشارة إلى أنه بفعل ما حدث ويحدث في العصر الحالي من عوامل وأحداث وتطورات في شتى مجالات الحياة ازدادت هذه الهوة وتشعبت عواملها وتأثيراتها لاسيما على المجتمعات المتخلفة التي لم تجد بدا إلا أن تنضم إلى ركب الحضارة العالمية وتدخل طوعا وكرها في خضم التحولات الحاصلة في العالم، وهو المنطلق الفرضي الثاني الذي نوضح أثره في حلقة الصراع وزيادة الهوة من خلال بعض المؤشرات التي نوردها في العنصر التالي.

3. التحولات وأثرها في منظومة القيم بالمجتمع الجزائري:

1.3 على مستوى النسق القيمي العام للمجتمع:

في مقال ل (فضيل دليو) حول: العولمة الإعلامية والهوية الثقافية: ورد عن: خريف حسين إلى أن مسألة خصوصية الثقافة أو بعبارة أدق "الذاتية الثقافية" تحتل صميم التكوين الانثروبولوجي والنفسي والاجتماعي والسياسي للثقافة، فالأفراد الذين ينتمون إلى ثقافة واحدة يشتركون في فكرة عامة في انتسابهم إلى هذه الثقافة والاستفادة من إنتاجها وإبداعها، ومع ان هذه الخصوصيات الكلية تشتمل على خصوصيات فرعية تتعلق بالمهنية والطبقية والعرقية والعقائدية... فإنها تصبح في ظل القبول الاجتماعي الأوسع ضمن التكوين السلوكي العام للمجتمع وبالتالي تسهم بشكل أساس في صنع ثقافته، حيث أن أية ثقافة من الثقافات لا تخلو من وجود نسق للقيم خاص بها يعطيها تماسكها واستقرارها واستمرارها، وهو الذي يبرر سلوك الأفراد وأفكارهم اعتبارا لكون الثقافة في أي مجتمع هي حصيلة النشاط الاجتماعي وأساليب الحياة ونمط القيم وأدوات الانجاز، وتتخذ مظهرين (مادي ولا مادي) ولذلك تعبر الذاتية الثقافية عن جدلية الأصالة والمعاصرة في تشكيل الهوية الوطنية من حيث ان الاثنين قضية واحدة تدخل في التكوين الحضاري للأمم.(**دليو فضيل، 2010، ص 176**).

وأضاف خريف حسين: أن جميع آثار العولمة نجد لها أثر أكثر وضوحا في الدول النامية ومنها الدول العربية وفي جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ولكن بمظاهر وتجليات مختلفة وأكثر عامل مؤثر يميل إليه دارسوا العولمة هو خطر التدفق الإعلامي الغربي وتعريضه الهوية الثقافية العربية لخطر الانحلال. حيث تمتد مخاطر التدفق الإعلامي لتشمل الرجل والمرأة والشاب والطفل الصغير، أي الأسرة العربية كاملة انطلاقا مما يستقبله أفرادها عبر القنوات الفضائية من مضامين إعلامية لا تنسجم بل تتعارض مع العادات والتقاليد والقيم وتدعو إلى أنماط ثقافية غربية تمس أساليب الحياة من جميع النواحي ويغلب عليها طابع الاستهلاك إلى درجة أصبح الفرد يشعر بتبعية للثقافة الغربية يصعب الخلاص منها، كما يشعر بنوع من الاغتراب الثقافي ليس عن مجتمعه فحسب بل عن ذاته أيضا لأنه لم يبق قادرا على استقلالية التفكير وإيجاد الحلول لمشاكله بمعزل عن تأثير أنماط التفكير الوافدة عليه.(**دليو فضيل، 2010، ص 183**).

وفي مقال آخر لـ(فضيل دليو) بعنوان: العولمة وانتهاك المقدس: يقول هنري برغسون: "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة"، فالدين أصيل في الإنسان ولذا يظل الملجأ الذي يأوي إليه، لاسيما بعد ان تعزز بنزول الكتب السماوية، ورسالات الله، فتوطدت العلاقة بين الإنسان والدين، وتعمقت حقيقة عقدية في كيانه، توحي بان للكون إله حق أن يعبد ويوحّد ويطاع. (**دليو فضيل، 2010، ص 49**).

ولذلك فحري ونحن نناقش الشق المتعلق بالقيم بمفهومها العام والقيم الدينية خصوصا، التي تعتبر جزء هام في نسق القيم للمجتمع الجزائري باعتبار الإسلام الديانة التي يدين بها غالبية المجتمع، ان نطرح جملة من الأسئلة التي قد لا يتسع المجال للخوض فيها بشكل مفصل في هذا المقال ولكنها في نفس الوقت تعتبر هي الأخرى منطلقا في تفسير بعض نواحي السلوك الاجتماعي للفرد الجزائري، ومن هذه الأسئلة:

ما مكانة القيم الدينية الإسلامية من النسق القيمي للمجتمع الجزائري؟ وما مكانته في حيز الممارسة الاجتماعية؟ هل هو حيز قاعدي نمائي ام دفاعي؟

هناك من المنظرين من لم يعتبر أن الديانة الإسلامية في الجزائر المعيار الأول للسلوك بل يبررون على صحة هذا الموقف بالقول ان مجتمع شمال إفريقيا (البربر) ومنها الجزائر سمحوا للفتوحات الإسلامية ولدين الإسلام بالاستقرار فيها والانتشار بدون حدوث حروب طويلة الآماد والأبعاد كما فعلوا مع سابقيها من غزاة لأنها تكرس لأسس الثقافة والنظام الاجتماعيين الأصليين (التقليديين) أو على الأقل لا تسعى لتغييرهما او القضاء عليهما.، ولسنا بصدد الخوض عميقا في هذا اذ من زاوية أخرى فإن الديانة الإسلامية في المجتمع الجزائري هي معطى اجتماعي واسع الانتشار لا يمكن إهماله او إنكاره في الواقع السلوكي والممارسات الاجتماعية والدينية اليومية والمناسباتية... .

غير انه في ظل الانفجار المعرفي الذي يشهده العالم، وفي ظل ثقافة العولمة وعولمة الثقافة والتي تنطوي على درجة عالية من العلمنة، وتغلب المادة وتمثل الحياة العاجلة، واختزال الإنسان في بعده المادي الاستهلاكي اهتز مفهوم الدين، وتعرضت مقدساته للسخرية والانتهاك تحت طائلة حرية التعبير، مما عرضه للامتهان والتشويه الذي عمقه غياب الوعي، وتنكر الأفراد لهويتهم وخصوصيتهم على حساب هوية عالمية، تختزل الإنسان في مدى قدرته على الذوبان في الآخر وتبنى ثقافة الإذعان. (**دليو فضيل، 2010، ص 49**).

كل هذه العوامل ساهمت وتساهم في إحداث حالة من الارتباك لدى الفرد لا سيما إذا شعر بأن القيم التي يفترض ان تنظم الحياة الاجتماعية قد فقدت وزنها في المجتمع ويدعم شعوره هذا وبشكل مستمر الكثير من المواقف والأحداث الاجتماعية التي تثبت في كل مرة فقدان هذه القيم لسلطتها ومكانتها في المجتمع.

ويدعم هذا الموقف ما أشارت إليه لعوير ليلى (**دليو فضيل، 2010**) إلى أن العولمة ساهمت بشكل كبير وبطرائق عديدة في فسخ العديد من القيم والثوابت والمعايير الدينية إما بشكل مباشر وإما بشكل جعلها تفقد قيمتها وتُضعِف قوتها في التأثير على الأفراد والجماعات.

2.3 على مستوى البنية العائلية والمؤسساتية وروابطها القيمية:

في دراسة لـ(**مصطفى بوتفنوشت، 1984**) حول: العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، عالج مجموعة من التحولات التي طرأت على البنية الاجتماعية والأسرية في التركيب والوظائف والتي تمثلت في: تحولات على مستوى العائلة، وتحولات في السكن، وفي البنيات الاجتماعية، وعلى مستوى التنظيم السياسي من الجماعة الى المجلس البلدي، والنظام القانوني من قانون العرف الى القانون المدني وما تضمنه من تطورات وجدلية بين التقليدي والعصري اي بين احترام القيم الموروثة عن الأجداد والروح التحررية وما تضمنه إدخال التكنولوجيا واستخدامها من تغيرات بارزة في كل ذلك...

ولما كانت تربية الأطفال(تنشئة الأجيال على سبيل المثال) هي العامل الأول والأساسي في تكوين الأسرة، بل هي أهم واجباتها نجد أن تنظيم الأسرة قد اتخذ أشكالا متباينة حتى يلائم ظروف المجتمع، وظهر في المجتمع كثير من المؤسسات والمنشآت التي تعنى بالحياة الزوجية، ولذلك فقد اختلف تكوين الأسرة تبعا للظروف المختلفة... (**عصام توفيق قمر وسحر فتحي مبروك، 2008، ص 12**)، جميع هذه التغيرات التي حصلت على مستوى بنية ووظائف المؤسسات الاجتماعية المختلفة وإن بدت ظاهريا كمظاهر حضارية فإنها قد حملت معها مشكلات وصراعات تبرز للظهور مع كل موقف أو حدث تتعارض فيه مطالب وشروط الحياة الاجتماعية التقليدية مع مطالب وشروط الحداثة وما تتطلبه من تغيير وتجديد.

3.3 على مستوى الزواج وعملية الاختيار الزواجي والقيم المرتبطة به:

بعدما كان الزواج في المجتمع التقليدي الجزائري يمارس بشكل طبيعي من قبل الرجل والمرأة على السواء، عند بلوغهما السن المطلوب، أي المحدد له اجتماعيا، حيث كانت مسؤولياته بما فيها المعنوية (كالبحث عن الشريك –ة–) والمادية (كتوفير المهر والسكن ومصاريف العرس الشكلية) ملقاة كلها على عاتق الأسرة، لم يكن الشباب يعاني من قضايا الزواج كتلك المتمثلة في ظاهرة تأخر سن الزواج او العزوف عنه لأجل غير محدود، ولم يكن سوق الزواج هو الآخر يعرف ما يسمى بأزمة الزواج، فالفتاة لم تواجه مشكلة ممن تتزوج؟ ومتى تتزوج؟ وكذلك الرجل إذ لم يكن هناك اي عائق يعوق السير الطبيعي للزواج، لكن الوضع لم يستمر على حاله في هذا المجال وهذا نظرا للتغيرات العميقة التي شهدها مجتمعنا جراء عمليتي التحضر والتصنيع والتي انعكس آثارها على بنية الأسرة ونظام زواجها... (**مليكة لبديري، 2005، ص 60**).

ويشاركها في هذا الطرح (**عبد الرحمان الوافي، 1996**) في أن ما حدث من تغيرات على مستوى بنية ووظيفة الأسرة خصوصا وعلى النظام الاجتماعي بوجه عام أثر وساهم في حدوث العديد من المشكلات فيما يتعلق بزواج الشباب ولذلك اقترح فكرة ضرورة تكييف الزواج مع الواقع المعيشي في خلاصة كتابه (في سيكولوجية الزواج) داخل المجتمع ولدى الشباب الجزائري.

ولكن هل تدل هذه التغيرات الظاهرة جليا على حدوث التجديد والتغير الجوهري في الثقافة الاجتماعية التي تحفظ للمجتمع ولأفراده وللمنظومة الاجتماعية هويتها الخاصة واقعيا ومن خلال الممارسات الاجتماعية اليومية؟ ومن زاوية أخرى ما المشكلات التي يعاني منها أفراد المجتمع عموما والشباب خصوصا في خضم هذه المعطيات؟

4.مظاهر الحداثة في المنظومة التقليدية وحالات اللامعيارية :

سنوضح في هذا العنصر بعض مظاهر الحداثة والتغيرات النفسواجتماعية الحاصلة بفعلها في محاولة لبيان أثر هذا في ظهور حالة اللامعيارية داخل المجتمع الجزائري.

1.4توابع السكن المستقل :

ينظر للسكن الوظيفي من جهة على أنه مظهر عصري يدل على وجود وتيرة تقدم اجتماعي واقتصادي ومهني...، ومن جهة أخرى يفترض به ان يكون من العوامل المساهمة في إحداث التقدم والتجديد المطلوبين والمرغوبين على مستوى الفرد والمجتمع، ولكن تؤكد الممارسة الاجتماعية العكس، بل على حدوث مشكلات نفسية واجتماعية مختلفة ومتفاوتة الدرجة، وقد أكد على هذا (**مظهر، 2010**):

"لم يسهل السكن الوظيفي الحياة المهنية الاجتماعية لمن استفاد منه بل عقدها عليه.

أولا، سرعان ما أوقع السكن الوظيفي الإطار في تبعية اجتماعية معادية لتأدية الأدوار المهنية حسب شروط التنمية والتطور، باسم ضرورة التحصيل على هذا النوع من السكن والاحتفاظ به فقط، تورط الإطار بدرجات متفاوتة، في عرقلة سياق التنمية بالابتعاد عن النقد والتزام الصمت وتنفيذ أوامر مخالفة لإنجاز مشاريع، هذا كمظهر أول لحالة اللامعيارية التي تسببها السكن الوظيفي...

ثانيا: تسبب السكن الوظيفي باسم الاستقلالية الفردية التي يرمز إليها في بعث سياق اجتماعي عائلي قد أوقع كذلك الإطار في فخاخ اجتماعية أخرى. حمل السكن المستقل في مستهل التسعينات فرصتين في صالح التجديد الاجتماعي: تمثلت الفرصة الأولى في الامتناع من قبضة ممثلي النظام الاجتماعي التقليدي، وبالأحرى من الأهل إذ سهل هذا النوع من السكن على من استفاد منه الخروج من الحياة العائلية الجماعية. أما الفرصة الثانية فقد تمثلت في فسح المجال لبعث تحولات اجتماعية عائلية متفتحة نحو التغيير الاجتماعي. ولكن لم يشارك الإطار الحاصل على السكن الوظيفي في بعث تحولات اجتماعية ثقافية كما كان ينبئ به تكوينه الجامعي وتحثه عليه مسؤوليته المهنية وتسهله له إمكاناته المالية ووسائله المادية والاجتماعية (سكن مستقل، مرتب، سيارة، ضمان اجتماعي، تقاعد...) فماذا فعل إذن؟ لم يعتمد الإطار الجزائري الشروط العصرية التابعة لمهنته (انضباط، جهود، اتخاذ القرار، إنتاج، تحمل المسؤولية...) ليتخلص من قيوده النفسية الاجتماعية والتقليدية ويشارك في تجديد الحياة الاجتماعية، بل تسبب في بعث سياقات اجتماعية قد سهلت إعادة ابتلاعه من طرف نمط الحياة الاجتماعية التقليدي الذي بات الأهل متشبثين به (**مظهر سليمان، 2010، ص101**)، الأمر الذي يؤكد أن الفرد الجزائري يسلك وفق ثقافة تقليدية تحكمها الظروف والتغيرات تارة ويسلك وفق ما يناسب مصلحته الفردية إذا سمحت الظروف واتيحت فرصة، وهذا الارتباك المعياري لا شك يحمل في طياته إمكانية التصرف بشكل معادي لمصادر الضغط (هذه المعايير). تؤكد المعطيات التالية هذا الوضع.

ان اعتز الإطار بالاستفادة من سكن مستقل واستظهر به كدليل نجاحه الاجتماعي فإنه عان في نفس الوقت من قلق متعدد الأسباب، مثل:

السبب الأول تأنيبا ذاتيا قد تأثر به الإطار على غير وعي في معظم الأحيان. يمكن ربط هذا التأنيب بما يلي: لقد استفاد من استفاد من سكن مستقل كأنه شخص منفرد وهو مهيكل لكيلا يغادر عائلته إلا لتلبية رغباتها والحصول على ما تأمره به وتنتظره منه. فاعتبر الإطار أنه قد خان أهله، إذ أصبح يتمتع برفاهية نسبية وهم بقوا في الأوضاع التي كانوا عليها وهي أوضاع ضيقة على العموم. كونت توابع أزمة السكن

ثاني أسباب قلق الإطار. كان يتخوف من ان يستغل احدى العائلات المحرومة من سكن عادي تغيبه اليومي لتستولي على سكنه، وكان توقعه هذا يخيفه، على وعي وإدراك وهو يتناسى قرار التخصيص المتواجد بين يديه، أي ما كان قد يسهل له الاستنجاد بالسلطات العمومية عند الحاجة (الشرطة...)، لكن كيف لا يتخوف وأناس يثبتون من حوله أنهم يعرفون شخصا ذكر لهم أن صديقا له قد سلب منه سكنه منذ عدة سنوات ولم يستطع ان يسترجع حقه رغم الدعوة التي رفعها أمام القضاء؟

أما السبب الثالث الذي أقلق الإطار فهو متعلق بموقعه الاجتماعي في حيه الجديد: لقد وجد نفسه منعزلا وهو مهيكل لكي يحيا بفضل تعامل مستمر مع الآخرين. (**مظهر سليمان، 2010، ص 102**).

2.4 فشل الإجراءات الرسمية :

كمؤشر آخر لحالات اللامعيارية السلوكية يعد عدم احترام القوانين من طرف أفراد المجتمع مظهر أخر يلاحظ بصورة تؤكد عليها عدد المخالفات والانتهاكات القانونية التي تحصيها دوائر الشرطة والمؤسسات المعنية. فعلى سبيل المثال: لم تؤثر إشارات المرور ولا الإجراءات القانونية المتخذة بأي صفة كانت على سلوك السائقين. لم يراع أصحاب المركبات اي إجراء من الإجراءات التي تحث هذه الإشارة على احترامها، رغم تواجد دوريات رجال الدرك والشرطة في أماكن مختلفة من هذه الطرقات. فما يمكن استنتاجه من هذا الوضع هو أن فشل الإجراءات الرسمية يزيل مصداقية السلطات العمومية ويشجع التصرفات المعادية للتمدن. (**مظهر سليمان، 2010، ص 153**).

3.4مؤشرات انعدام المواطنة :

ملاحظة –1–: لا يتردد الناس في رمي فضائلهم من نوافذ منازلهم وسياراتهم.

ملاحظة –2–: لا يتردد سائقون في توقيف مركباتهم على حافة الطرقات لقضاء حاجاتهم الطبيعية....

بحكم ثقلها الاجتماعي تحث هاتان الملاحظتان الأخيرتان على الاعتناء بكيفية استهلاك الطاقة البشرية في المجتمع الجزائري على سبيل المثال ويكفي الاعتماد على نمط الحياة الاجتماعية التقليدي للتفطن لأمر عويص: تهدر هذه الطاقة، منذ القدم، من خلال مشادات بين الزوجين، مشادات تتجسد في تعديل نفسي اجتماعي على حساب الرجال في معظم الأحيان. (**مظهر سليمان، 2010، 155**).

إذن فما يبدو ظاهريا من مظاهر الحداثة لم يحدث التغيير الجوهري بل ووجه بآليات نفسية اجتماعية تقليدية، بل أكثر من ذلك لقد سُخِّر لخدمتها تارة ووضع الفرد الجزائري في موقف أزمة معيارية (صراع–فقدان قيمة)، ولكن ألا ينبئ الضغط الممارس على الشباب باعتبار مميزات القوة الجسمية والنشاط النفسي والعقلي والانفعالي المميز لهذه الفئة وباعتبار تربعهم على أعلى فئة اجتماعية من حيث الكثافة السكانية... ألا ينبئ بإمكانية إحداثه للتغيير او التجديد بالنظر الى المستوى العالي من حيث الكم والتعدد في النوع والاستمرار... لتدفق للفكر والمعيار الغربي بالمقارنة مع الضعف الملاحظ أسريا ومؤسساتيا في العصر الحاضر وإمكانية استمرار وتفاقم هذا الضعف؟ سؤال إشكالي يجب التفطن له ودراسته والإعداد الاستراتيجي له. ولذلك سنوضح في العناصر الآتية بعض الأساليب والوسائل المستخدمة بانتشارية واسعة لدى فئة الشباب وكيف يمكن ان تؤثر في سلوكهم الاجتماعي وقيمهم وكيفيات استجاباتهم للمواقف المرتبطة بها.

4.4البث التلفزيوني المباشر وتأثيره على الهوية الثقافية للشباب :

في مداخلة لزرزايحي زوبير حول: العولمة الإعلامية والهوية الثقافية في الجزائر، أشار الى أنه من القضايا التي تتأثر بها الهوية الثقافية العربية التعددية في القنوات التلفزيونية، خاصة في ظل تنوع البرامج المقدمة عن طريق القنوات الخاصة والمقدمة عن طريق المحطات الأرضية، وتكمن أهم الأخطار على التلفزيون العالمي في عملية التجانس او التشابه، ثم ان تشكيل الهوية الثقافية عبر التلفزيون يتدخل في الجانب التجاري، فهناك اعتقاد بان الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم فيما نسبته 85

بالمائة من حجم التجارة العالمية في مجال الوسائط السمعية والبصرية وعلى النقيض تستورد حوالي 4 بالمائة فقط من برامج من دول العالم، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى حدوث نوع من التماثل بين أنماط مشاهدة الجماهير، ونلحظ ذلك عندما يشاهد الجماهير برامج التلفزيون في كل مكان، ويشاهدون نفس المضامين المقدمة.(**دليو، 2010، ص 250**).

والحقيقة أن تأثير البث التلفزيوني المباشر لا يمكن إغفاله سواء تعلق الأمر بالبث القادم من الخارج أو الذي نبثه نحن لمواطنينا من داخل دولنا العربية، إذ تشير معظم النتائج والدراسات إلى الإمكانات الفنية الهائلة التي تتمتع بها المحطات الفضائية الأجنبية وما تقدمه من مواد إعلامية جذابة تخفي وراءها مخاطر عديدة يجعلها موضع اهتمام بعض الفئات من المواطنين، وتكمن الخطورة في ان هذه الفئات تتمثل في الشباب حيث سادت في دولنا العربية مظاهر التقليد والمحاكاة للثقافة الغربية على نطاق غير محدود، ويتمثل ذلك في عادات المأكل والملبس وممارسات الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية بين الناس وسيادة الحاجات المادية على المعنوية وزادت درجة الخطورة عندما ترجمت الأعمال الإعلامية الغربية الى العربية وعرضها في محطاتنا التلفزيونية كالمسلسلات والأفلام والرسوم المتحركة...، وبالرغم من المخاطر العديدة للبث التلفزيوني المباشر تبقى حقيقة هامة وهي أنه أصبح ضرورة تمليها ظروف العصر، اذ لا يستطيع الفرد منا إن يعيش في عزلة عن العالم لكن ما يجب فعله تجاه هذا الخطر الداهم هو تصحيح الطريقة التي نعامله بها كما فعلت الصين واليابان وحافظتا على هويتهما الثقافية، بالإضافة إلى رسم سياسة إعلامية مشتركة تضع الخطط والمبادئ للتعامل مع هذه الظاهرة، خاصة وان هويتنا الثقافية لها جذور مستمدة قواعدها من الدين الإسلامي. (**دليو، 2010، ص250–251**).

5.الشباب والمجتمع : (مشكلات–حاجات–تطلعات) :

يشكل المجتمع المحيط العام الذي يتحرك فيه الشباب والذي يتفاعل معه بصفة يومية ودائمة في حياته الشخصية العادية، وهو مركب من عدة عناصر ابتداء من الأسرة ومن الشارع والمؤسسات والعادات والتقاليد التي جميعها تشكل البيئة التي ينمو فيها وتساهم بقوة في تشكيل شخصيته. وهذه البيئة مليئة بالمعيقات والكوابح كما هي مليئة بفرص النجاح والتفوق، والشباب وحده القادر على التصرف بحكمة مع هذا المحيط ليضمن لنفسه التوافق معه. (**بومخلوف محمد وآخرون، 2012، ص 293**).

5.1مظاهر اللامعيارية وأزمة القيم لدى الشباب الجزائري :

يطلق الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي دوركايم E. Durkheimعلى الحالة التي تفقد المعايير الاجتماعية السائدة في مجتمع ما من فاعليتها في ضبط سلوك أفرادها وتنظيم سلوكهم لتحقيق القدر المطلوب من التوافق الاجتماعي باللامعيارية anomie.

إن حالة اللامعيارية السلوكية هذه تحدث كنتيجة لعوامل نفسية واجتماعية تتسم بألم نفسي ناتج عن فقدان قيمي واقعي او ذهني، يجعل الفرد عرضة للشعور بالاغتراب النفسي والثقافي معا، هذه الخبرة النفسية المؤلمة تشكل كما أثبتته العديد من الدراسات جوا خصبا لتفاقم اللامعيارية بأشكالها ودرجاتها المختلفة.

ففي مداخلة لعيشور نادية حول: نمط الاستهلاك والاغتراب الثقافي في العالم التابع، أجرت دراسة ميدانية للإجابة على التساؤل: إلى أي حد يعيش الطالب في الجامعة الجزائرية اغترابا ثقافيا؟ وما هي أبرز مظاهر هذا الاغتراب؟ باعتبار

الشباب هم الفئة الأكثر عرضة للتأثير والتأثر بمكونات الثقافة المستوردة، وحددت في دراستها أربعة أبعاد لحالة الاغتراب النفسي لدى الشباب والتي ربطتها كنتيجة للنمط الاستهلاكي السائد وهي مبينة في التالي:

5.2أبعاد الاغتراب الاجتماعي والثقافي النفسية والقيمية :

أ–اللامعيارية: غياب منظومة او نسق قيمي منسجم ومتكامل نتيجة لتعدد المؤسسات وتناقض المفاهيم والمعاني الرمزية التي تمررها عبر خطاباتها والتي تتسم بالاختلاف إلى درجة التناقض، فيصعب إدراك الصواب من الخطأ، والقبول من اللاقبول، والحسن من السيئ، من اللامنطقي واللامعقول. أي تضارب مقاييس الاستحسان والاستهجان كمقومات لعملية الضبط الاجتماعي غير الرسمي.

ب–اللاهدفية: في ضوء التناقض السابق في منظومة الضبط يفقد المرء القدرة على تحديد أهداف طموحه تخدم مصالحه وتتوافق مع المصالح العامة، مما يعرقل الطموح لديه ويكبح حركيته، ويحد من حماسه إزاء تصور المستقبل، والنضال من أجل تحقيق وتجسيد مضامين هذا الطموح.

ج–اللامعنى: إذا فقد المرء الرؤية الواضحة لما يجب أن يكون، وإذا عجز عن إدراك ما يجب أن يفعله وما يجب أن يسعى الى تحقيقه من أهداف، صارت حياته كلها بدون معنى ولا مدلول، يغذيها الشعور بالضياع والحسرة والرغبة في مفارقة الدنيا والموت يحملان المعنى ذاته.

ولعلنا نجد من خلال هذا الطرح تفسيرا لانتشار ظاهرة الانتحار في أوساط الشباب الجزائري لاسيما في السنوات الأخيرة.

د–اللاحرية: عدم معرفة ما الذي يجب فعله، عدم امتلاك حق الحلم لأنه ما من هدف يمكن رسمه وتحقيقه، ثم فقدان الحياة معناها وقيمتها والشعور بغير فائدة ترجى من الوجود، تجعل المرء المغترب فريسة للخضوع والتبعية للغير أي فقدان الحرية وعدم الإحساس بها ومن ثمة تحوله إلى أداة تستخدم لتحقيق غايات وأهداف الآخرين. (**دليو فضيل، 2010، ص287–288**).

5.3نتائج الاغتراب واللامعيارية على الأفراد والمجتمعات نفسيا وقيميا :

أ تدمير الذات: من خلال الإدمان على المخدرات، الاسترسال في إتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، الإنفاق من غير حاجة وتبديد الطاقة في غير ضرورة.

ب– تدمير الآخر: التمرد على القيم، العنف اللفظي والجسدي، أعمال الشغب، تخريب الأشياء، الإرهاب والإجرام...

وفي هذا الصدد ورد عن عيشور نادية (**دليو، 2010**): نوعين من الاغتراب يتجلى ويؤدي كل منهما إلى مجموعة من المظاهر والسلوكات اللامعيارية والتي قد تصل بالفرد إلى حالة اللامعنى وهي فقدان الفرد للمعنى من الحياة، ونلخصها في الآتي:

أ– الاغتراب عن الذات: ويشمل: العجز، الضياع، اللاانتماء، العزلة، اليأس، الكبت، الإحباط، اللاثقة بالنفس، كراهية الذات، غياب الحلم، فقدان الإحساس بالوجود الفعال، مهاجمة الذات (الإدمان، الانتحار)، العدوانية إزاء المجتمع (أعمال العنف، الإرهاب، التخريب ...).

ب– الاغتراب عن الآخرين: عدم فهمهم، عدم الثقة بهم، عدم التعاون معهم، عدم الشعور بالانتماء إليهم والى قضاياهم، الاستسلام لهم.

وتطلق على هذه الحالة عموما بظاهرة التخذير الثقافي.

5.4 أزمة قيمة الثقة في المجتمع : (تدني مستوى الثقة في العلاقات الاجتماعية ونحو المؤسسات).

تعرف الثقة (**بومخلوف محمد وآخرون، 2012**): على أنها الرصيد العاطفي الذي يمتلكه شخصان، والذي يعينهما على التوصل إلى اتفاق على أداء مصلحة الطرفين، فعندما يثق اثنان في بعضهما استنادا إلى جدارة كل منهما بثقة الآخر فيه ستقودهما الثقة المتبادلة تلك إلى التعاضد المثمر فيما بينهما والتمتع بحسن التواصل المبني على الشفافية والتعاون والمشاركة العاطفية والوجدانية. ومن ثمة يعتقد بأن الثقة هي مفتاح المرور إلى الروابط الاجتماعية الحديثة بعيدا عن الروابط العصبية والتقليدية.

لقد تعرضت الثقة الرأسية والأفقية إلى انهيارات كبيرة وبقيت محصورة في نطاق ضيق ولهذا سادت العلاقات الشبكية القائمة على العلاقات الشخصية، ولهذا الوضع جذور تاريخية سببها البطش والقمع والقهر، ومما زاد من تعميقها الظروف المؤلمة التي مر بها المجتمع الجزائري في العشرية السوداء حتى أصبح الشك والخوف متغلغل في النفوس حتى بين أقرب المقربين. (**بومخلوف محمد وآخرون، 2012، ص 366**).

5.5المعوقات القيمية لدى الشباب في المجتمع :

في دراسة ميدانية (**بومخلوف محمد وآخرون، 2012، ص 293–294**)، أجريت على عينة من الشباب الجزائري 801 ذكور و 674 إناث خلصت إلى أن: ما يقلق الشباب أكثر ليس الجوانب المادية وإنما هي الجوانب المعنوية من عادات وتقاليد (8،39 بالمائة)، وقوانين المجتمع التي تنعكس في الرشوة والبيروقراطية (6،37 بالمائة)، بينما الأسرة لا تشكل عائقا كبيرا أمام الشباب في سبيل تحقيق نجاحه الاجتماعي (8،17 بالمائة)، وعلق الباحث : حيث نلاحظ ان الأسرة لم تبق متشددة مثلما كانت عند الأجيال السابقة، فالأسرة وبسبب التعلم والاطلاع والاستماع للإرشاد، التوجيه الإعلامي والمسجدي تنازلت كثيرا عن ما كان في السابق لا يمكن التنازل عنه... .

غير ان هذه الدراسة لم توضح بشكل دقيق طبيعة هذه التنازلات ونوع القضايا التي تتنازل الأسرة بشأنها، هل هي على مستوى جميع ما يخص حياة الشاب من جوانب؟ أم هي تتعلق بجوانب معينة دون أخرى؟ وإذا كان هذا التنازل يخص جوانب دون أخرى فلابد كذلك من البحث في خلفية هذا.

5.6–حاجات الشباب الجزائري :

أ– الحوار داخل الأسرة الجزائرية والشباب:

يعتبر الحوار والتواصل والتفاعل الداخلي بين الآباء والأبناء من أهم الحاجات الاجتماعية للشباب، فالحوار دليل وعنوان التفاهم والتقدير الاجتماعي، وقد برزت إلى السطح في السنوات الأخيرة بسبب التحضر وضغوط الحياة ظاهرة الفتور وعدم التواصل الداخلي بين أفراد الأسر وبالأخص بين الآباء والأبناء، .... (بومخلوف محمد وآخرون، 2012، ص 283).

على الرغم من أنه أشار (**بومخلوف وآخرون، 2012**) إلى ان هذه الحالة على انتشارها فهي ليست عامة.

ب–حاجة الشباب الى العدل والمساواة في المجتمع:

ويشار بذلك الى الحقوق والواجبات تجاه مؤسسات الدولة التي يرتبط بها الشباب ارتباطا عضويا في دراسته ونشاطه وقضاء حاجاته الإدارية، يضاف الى ذلك ما يشاهده في الواقع من انتشار الآفات الاجتماعية ولا يمكن ان يحرك ساكنا، ومن أجل التعرف على هذه الحاجات عن طريق دراسة ميدانية توجهت بالسؤال لعينة من الشباب الجزائري (1475 شاب وفتاة) ليؤشر على المشكلات التي يراها تؤثر أكثر من غيرها على حياته اليومية، وخلصت نتائجها (**في بومخلوف محمد وآخرون، 2012، ص 294–295**) إلى أن: معاناة الشباب في حياته اليومية وهي مرتبة حسب درجة الأهمية بالنسبة الى حياته الشخصية، وتأتي مظاهر الظلم المعبر عنها (بالحقرة) كمصطلح جزائري في المرتبة الأولى بنسبة (2،77 بالمائة)، حيث عبر الشباب في المقابلات التي أجريت معهم عن تعرضهم للظلم في الشارع الذي أصبح مجال لبروز الأقوى بسبب الفراغ الرهيب من الحماية. وكذلك انتشار المنكرات المنافية للأخلاق العامة والأعراف في الحياة العمومية وعدم القدرة للتدخل للنهي عن المنكر وذلك بنسبة (4،69 بالمائة)، زيادة على الانحرافات الأخلاقية بنسبة (3،62 بالمائة) والتي أخذت في الانتشار خاصة في المدن ومدينة الجزائر على الخصوص باعتبارها أكبر مدينة تستقبل النازحين من جميع الأنحاء والعابرين لقضاء حاجاتهم. وفي المرتبة الرابعة عدم المساواة في المجتمع بنسبة (2،53 بالمائة)، وفي المرتبة الخامسة والأخيرة عدم احترام القوانين بنسبة (4،23 بالمائة).

ويدعم هذا إجاباتهم على سؤال آخر: يهمني أن يعمل الناس بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحياة العمومية، هذه القيمة الاجتماعية المعروفة في المجتمع الجزائري المستمدة من دينه الحنيف أخذت في التراجع يوما بعد يوم خاصة في المدن حيث تنتشر الظواهر المخلة بالقيم وبالحياء العام، حيث أن نسبة موافقون جدا على هذا المبدأ تمثل (73 بالمائة) ونسبة الموافقين (4،22 بالمائة) وهو مبدأ اجتماعي ديني قائم على الروح الجماعية في الحياة الاجتماعية العمومية، على خلاف المجتمعات القائمة على الفردية وعدم التدخل في شؤون الشخصية ونسبة (89 بالمائة) الموافقون والموافقون جدا على أنهم يتحرجون من جرح الآخرين بسلوكهم، وهو المحافظة على شعور الآخرين.

والملاحظة التي يجب الالتفات إليها من خلال هذه النتائج هي: أولا ارتفاع النسب الدالة على الحاجة لقيم معينة مما قد يكون مؤشرا على تراجعها، وثانيا أن نتائج مثل هذه الدراسات المعتمدة على التصريحات الكتابية او الشفوية تغفل الجانب الأهم فيما يتعلق بالسلوك المعياري او اللامعياري وهو جانب الممارسة في حقول الحياة الاجتماعية الواقعية.

انطلاقا من كل ما سبق توضيحه ولاسيما فيما يتعلق بالجزء الأخير من المقال والذي تم فيه التركيز على فئة الشباب في حاجاتها وتطلعاتها، في استجاباتها وتعاطيتها، وفي مشكلاتها ومعوقاتها وتجليات كل هذا يمكن الخروج باستنتاج هام مفاده ان هناك واقع نفسي اجتماعي يتغير بسرعة يصعب على الشاب ولاسيما في الحاضر إيجاد الخيارات السلوكية والنفسواجتماعية المناسبة بالطريقة التي تضمن له العيش الكريم والتوافق النفسي والاجتماعي المرضي لطموحاته وتطلعاته، كما يجب الانتباه الى أن حدوث حالات من اللامعيارية بكل صورها ودرجاتها وشعور الشباب بالاغتراب النفسي وهو

في أسرته ومجتمعه وذويه وكذلك فقدان الثقة في كل هذه الأطراف الاجتماعية الهامة في حياة الشاب...، جميعها عوامل لا يمكن التغافل عنها او وعن وزنها وأهميتها وفي نفس الوقت خطورتها، بل يجب التعامل معها علميا ومنهجيا بأولوية.

6. خاتمة:

في خلاصة هذا المقال يمكن القول بأن الباحث الذي يحاول تتبع الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية التي تناولت طبيعة وهوية النظام والثقافة والسلوكات الاجتماعية للمجتمع الجزائري من أجل محاولة وضع محك ثابت نسبيا لتشخيص مشكلات الشباب خصوصا والمشكلات النفسية والاجتماعية لمختلف فئات المجتمع بصورة عامة سوف يواجه صعوبة في عملية التحديد التشخيصي الدقيق لجملة من الاعتبارات العلمية التي نوجزها فيما يلي:

التأثر الواضح للباحثين الجزائريين خصوصا والعرب عموما ومن ثمة تأثر أعمالهم البحثية وفلسفتهم في البحث بالفلسفات والمناهج وطرائق البحث الغربية، والتي انعكست على نتائج البحث العلمي للبلاد العربية والتي منها الجزائر، وأصبحنا نلاحظ اختلافا واضحا في النتائج يصل في بعض الأحيان إلى حدّ التناقض. ولذلك ننوّه إلى ضرورة إيجاد منطلق وفلسفة علمية مستمدة من فلسفة المجتمع الجزائري وهويته الاجتماعية والثقافية والحضارية وذلك على مستوى الشكل والمضمون والمنطلق والمنهج. فالقيمة العلمية والعملية للبحث تؤتي ثمارها كما هو معروف إذا انطلقت من حاجات المجتمع وهويته وسخرت نتائجه في خدمة هوية المجتمع وحاجاته.

7. المراجع:

1- أحمد بن نعمان، سمات الشخصية الجزائرية (من منظور الأنثروبولوجيا النفسية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988.

2- بشير معمرية، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، ج1، منشورات الحبر قسم علم النفس، جامعة الحاج لخضر، -باتنة، -الجزائر- 2007.

3- بشير معمرية، بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، ج3، منشورات الحبر، بني مسوس –الجزائر- 2007.

4- جمال تالي وجميلة بن زاف، القيم ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلبة الإقامات الجامعية بالمسيلة) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص –الملتقى الدولي الأول حول: الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، (جامعتي: المسيلة وقاصدي مرباح -ورقلة-) بدون سنة.

5- زليخة جديدي، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة وادي سوف –الجزائر- جوان 2012.

6- فريال حمود، إشراف عيسى الشماس، مستويات تشكل الهوية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين (دراسة ميدانية في مدارس الثانوي العامة في مدينة دمشق)، مجلة جامعة دمشق، كلية التربية، المجلد -27- سوريا، 2011.

7- فضيل دليو، العولمة والهوية الثقافية (سلسلة أعمال الملتقيات)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة -الجزائر- 2010.

8- سليمان عشراتي، الشخصية الجزائرية (الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

9- سليمان مظهر، علم النفس الاجتماعي (نظرية المواجهة النفسية الاجتماعية-مصدر المجابهة)، منشورات ثالة، الأبيار –الجزائر- 2010.

10-عبد الرحمان الوافي، في سيكولوجية الإنسان والمجتمع، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر- 2011.

11-عبد الرحمان الوافي، في سيكولوجية الزواج، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر- 1996.

12-عزة مصطفى الكحكي، تعرض الشباب العربي ببرامج تلفزيون الواقع بالفضائيات العربية وعلاقته بمستوى الهوية لديهم، قسم الإعلام، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، بدون سنة.

13-عصام توفيق قمر وسحر فتحى مبروك، الرعاية الاجتماعية للأسرة والطفولة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية-المنصورة- 2009.

14-كريمة بونسي، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة (دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة مولود معمري بتيزي وزو)، رسالة ماجستير في علم النفس المدرسي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس، جامعة تيزي وزو، 2011-2012.

15-لطيفة طبال، التغير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة سعد دحلب –البليدة- الجزائر- جوان 2012.

16-محمد بن عبد الله، سيكوباتولوجيا الشخصية المغاربية، ديوان المطبوعات الجامعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران – الجزائر- 2010.

17-محمد بومخلوف وبوزيد صحراوي وحورية سعدو وآخرون، الشباب الجزائري واقع وتحديات، مطبعة الملكية، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، 2012.

18-محمد بومخلوف وبوزيد صحراوي آخرون، واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري "القطيعة المستحيلة" دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والاعلام، مخبر الوقاية والارغونوميا، جامعة الجزائر، 2008.

19-مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات باجي مختار –عنابة، -الجزائر- 2006.

20-مصطفى بوتفنوشت ترجمة: دمري أحمد، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون –الجزائر- 1984.

21-مليكة لبديري، الزواج والشباب الجزائري الى أين؟ دار المعرفة، -الجزائر- 2005.

22-نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، -الجزائر- 1988.